غير المتخصصين عامة، وإلى طلبة الدراسات الإسلامية والعربية الجامعية خاصة، في أسلوبٍ يجمع بين التركيز على الموضوعات الأساسية في تأريخ القرآن وعلومه، وبين السهولة في العرض، والوضوح في التعبير، مع عدم التفريط بمتطلبات البحث العلمي الجاد، من الاعتماد على المصادر الأصلية، والمنهجية الموضوعية التي تقرر الحقائق من خلال الأدلة والنصوص الموثقة.

وكانت هذه المحاضرات قد كُتِبَتْ وصدرتْ طبعتها الأُولى منذ عشرين سنة[1]، وهذه إن شاء الله الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة بعد أن أَعدتُ كتابة موضوعاتها، لتحقيق غرضين هما: استدراك ما فاتني في الطبعة الأُولى من مصادر ومعلومات، وتيسير كتابة بعض المباحث لتكون أقرب إلى فهم القارئ المبتدئ أو غير المتخصص، مع المحافظة على المنهج الذي ظهرت فيه الطبعة الأُولى المستندة إلى دراسة موضوعات علوم القرآن من خلال الأبواب أو الفصول الأربعة الآتية:

الأول: نزول القرآن الكريم.

الثاني: تدوين القرآن الكريم.

الثالث: قراءة القرآن الكريم.

الرابع: تفسير القرآن الكريم.

وقد حرصت في هذه المحاضرات على الاعتماد على المصادر الأصلية الموثقة من نصوص القرآن الكريم والسُّنة المشرفة، والروايات التاريخية الصحيحة، وفهم علماء الأمة العدول لها. مع التركيز على الحقائق الثابتة المتفق عليها، وترك الآراء الشاذة التي لا تقوم على دليل ولا تسندها حجة. والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

المؤلف

١٥/ صفر/ ١٤٢٠هـ = ٣٠/ مايس/ ١٩٩٩م

---

(١) صدرت الطبعة الأُولى في بغداد سنة ١٩٨١م بمساعدة جامعة بغداد.

تمهيـد

علوم القرآن وتأريخ التأليف فيها

تعني عبارة (علوم القرآن) المباحث والدراسات التي كُتِبَتْ حول القرآن الكريم، وهي تتناول أربعة موضوعات أساسية، الأول: مَصْدَرُ القرآن أو كيفية إنزاله وتلقي النبي ﷺ له، والثاني: كتابةُ القرآنِ وجَمْعُهُ ونَسْخُهُ في المصاحف، والثالث: تلاوةُ القرآن وقراءاتُه، والرابع: تفسيرُ القرآن وكيفيةُ فهم آياتهِ. ويتألف كل موضوع من هذه الموضوعات من عدد من المباحث التي يتكون من مجموعها ما يُعْرَفُ بعلوم القرآن، ويتصل بعلوم القرآن أيضاً المباحث المتعلقة بفضائل القرآن، والدراسات التي تبحث في وجوه إعجازه.

وترتبط نشأة (علوم القرآن) ببدء نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ وتلاوته على الناس، وأمره أصحابه بكتابته. وتطورت تلك النشأة مع تطور الحياة العلمية والثقافية للأمة ـ وانتقلت من مرحلة الملاحظات المتفرقة إلى مرحلة البحث المنهجي المدوَّن. ويمكن أن ندرس نشأة (علوم القرآن) وتطورها من خلال المراحل الأربع الآتية:

المرحلة الأولى: علوم القرآن قبل عصر تدوين العلوم:

يمكن للباحث أن يجد بدايات علوم القرآن في عصر النبوة متمثلة بالملاحظات والأحاديث التي تَلَقَّاها الصحابة عن رسول الله ﷺ المتصلة بالقرآن الكريم، فمن سؤال الصحابة النبي ﷺ عن كيفية تلقيه القرآن بدأت المباحث المتعلقة بنزول القرآن، ومن قراءته ﷺ القرآن على أصحابه وحَثّهم على تلاوته وحفظه نشأت المباحث الخاصة بالقراءات القرآنية، ومن أمره ﷺ كُتّاب الوحي بكتابة ما ينزل عليه من القرآن تأكدت سُنَّة كتابة القرآن وجمعه في الصحف،

ونشأت من ذلك المباحث المتعلقة بكتابته ورسمه، ومن بيانهِ ﷺ لمعنى عددٍ من الآيات والكلمات القرآنية حين أشكل فَهْمُها على بعض الصحابة نشأت المباحث المتعلقة بفهم القرآن وتفسيره.

وتجمعت تلك الملاحظات لدى علماء الصحابة، واختزنتها ذاكرتهم، ونقلوها إلى تلامذتهم من التابعين، لكنهم لم يدوِّنوها تدويناً منظماً، لأن العلوم لم تكن قد دوِّنت في عصرهم، وكان القرآن الكريم أول كتاب مدوَّن عرفته الأمة، وحرصوا في الجيل الأول ألاَّ يظهر بجانبه كتاب آخر، لكن الضرورة أملت على علماء الأمة من التابعين وتابعيهم تدوين العلوم، وكان نصيب علوم القرآن من جهودهم كبيراً.

المرحلة الثانية: علوم القرآن في عصر التدوين

يمكن القول إن تدوين علوم اللغة العربية وعلوم القرآن وغيرها قد بدأ في أواخر القرن الأول الهجري ومطلع القرن الثاني، وأن القرن الثاني لم يَنْقَضِ إلا ومعظم العلوم قد دوِّنت وظهرت فيها المؤلفات، ومن أوائل الكتب المؤلفة في علوم القرآن كتاب «التفسير» لعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ) الذي رواه تلميذه مجاهد بن جبر المكي (ت ١٠٤هـ)[١]، ومنها كتاب في هجاء (رسم) المصاحف لعبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي (ت ١١٨هـ)[٢]. وكتاب قراءة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)[٣]، ثم تتابع التأليف وكثر في علوم القرآن.

ويقدِّم ابن النديم صورة واضحة في كتابه «الفهرست» عن حركة التأليف في علوم القرآن، حتى سنة ٣٧٧هـ وهي سنة تأليفه الكتاب، حيث ذكر أكثر من ٢٥٠ كتاباً في موضوعات متعددة من علوم القرآن، نشير إلى أهمها[٤]:

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص٣٦.

(٢) المصدر نفسه ص٣٩.

(٣) المصدر نفسه ص٣١.

(٤) المصدر نفسه ص٣٦ - ٤١.

الكتب المؤلفة في تفسير القرآن: ذكر ١٤ كتاباً.
الكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله ومجازه: ذكر ٢٥ كتاباً.
الكتب المؤلفة في غريب القرآن: ذكر ١٤ كتاباً.
الكتب المؤلفة في القراءات: ذكر ٢٢كتاباً.
الكتب المؤلفة في الوقف والابتداء في القرآن: ذكر ١٢ كتاباً.
الكتب المؤلفة في متشابه القرآن: ذكر ١٠ كتب.
الكتب المؤلفة في فضائل القرآن: ذكر ١٢ كتاباً.
الكتب المؤلفة في عدد آي القرآن: ذكر ١٩ كتاباً.
الكتب المؤلفة في ناسخ القرآن ومنسوخه: ذكر ١٨ كتاباً.
الكتب المؤلفة في أحكام القرآن: ذكر ١١ كتاباً.

وتتميز هذه المرحلة بأن لكل علم من علوم القرآن كتباً خاصة به، فالكتاب الواحد لا يتناول إلا مباحث علم واحد، فلم تكن المؤلفات الجامعة قد ظهرت بعد.

المرحلة الثالثة: مرحلة المؤلفات الجامعة

خصص ابن النديم الفن الثالث من المقالة الأولى من كتابه الفهرست، لعلوم القرآن، وقال في مطلعه: «الفن الثالث: في نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأسماء الكتب المصنفة في علومه، وأخبار القراء وأسماء رواتهم»[1]. وما فعله ابن النديم هنا يمثل بداية اتجاه جديد للتأليف في علوم القرآن يتمثل بجمع خلاصة لعلوم القرآن كافة في مكان واحد، بعد أن كانت كتب علوم القرآن يختص كل كتاب منها بمباحث علم واحد. وأشهر الكتب التي اتبعت هذا المنهج:

---

(١) المصدر نفسه ص٢، ويستغرق ذلك من كتاب الفهرست ص٢٧ - ٤٢.

١- كتاب فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن، تأليف ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧هـ)[١].

٢- جمال القراء وكمال القراء، تأليف علم الدين السخاوي. (أبو الحسن علي بن محمدبن عبد الصمد المتوفى سنة ٦٤٣هـ)[٢].

٣- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي. (أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل المتوفى سنة ٦٦٥هـ)[٣].

٤- البرهان في علوم القرآن، تأليف بدر الدين الزركشي. (محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٧٩٤هـ)[٤].

٥- الإتقان في علوم القرآن، تأليف جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى سنة ٩١١هـ)[٥].

وكتاب «الإتقان» هو أكبر كتاب في علوم القرآن، جمع فيه السيوطي خلاصة ثمانين مبحثاً من مباحث علوم القرآن، استخلصها من المؤلفات السابقة له، وكان خاتمة للمؤلفات الجامعة في العصور المتقدمة.

المرحلة الرابعة: علوم القرآن في العصر الحديث:

عاد العلماء إلى التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث، وتنوعت اتجاهات التأليف عندهم:

---

(١) جزء واحد، حققه د.رشيد العبيدي، وطبع في بغداد سنة ١٩٨٨م. وكان قد حققه أحمد الشرقاوي إقبال، وطبع في الدار البيضاء سنة ١٩٨٠م.

(٢) يقع في جزءين، حققه د.علي حسين البواب، وطبع في القاهرة سنة ١٩٨٧م.

(٣) جزء واحد، حققه طيار آلتي قولاج، وطبع في بيروت سنة ١٩٧٥م.

(٤) يقع في أربعة أجزاء، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم وطبع في القاهرة ط٢ سنة ١٩٧٢م.

(٥) يقع في أربعة أجزاء، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٧م.